



# مرض "اليسارية" الطفولي في الشيوعية

بقلم حمو خالد  
مع تقديم على محمود

## الشرارة



لا حركة ثورية  
بدون نظرية ثورية

فلاديمير إيليتش أوليانوف لينين

# LENINE

## مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية

أهمية سلاح النظرية في بناء الحزب البلشفي وقيادة الثورة الاشتراكية العظمى في روسيا  
(سلسلة ملخصات و مقالات حول أهمية النصوص اللينينية التي ساهمت  
في بناء الحزب الاشتراكي الديموقراطي العمالي البلشفي الروسي)  
المرحلة الثانية : 1912 - 1924

حول كتاب: "مرض" اليسارية" الطفولي في الشيوعية"

المؤلف: فلاديمير إيليتش لينين.

في بتروغراد، شهر أبريل 1920

عن دار الدولة للطبع والنشر.

## المحاور

4	تقديم ..... علي محمود
8	الجزء الأول ..... حمو خالد
8	1 - بأي معنى يمكن التحدث عن الأهمية العالمية للثورة الروسية؟ .....
9	2 - أحد الشروط الأساسية لنجاح البلاشفة .....
11	3 - المراحل الرئيسية في تاريخ البلشفية .....
15	4 - في النضال ضد أي من الأعداء داخل حركة العمال نمت البلشفية وصلب عودها وتمرست؟ .....
20	5 - الشيوعية «اليسارية» في ألمانيا. الزعماء - الحزب - الطبقة - الجماهير .....
25	الجزء الثاني ..... حمو خالد
25	6 - هل ينبغي أن يعمل الثوريون في النقابات الرجعية؟ .....
28	7 - هل يجب الاشتراك في البرلمانات البرجوازية؟ .....
33	8 - هل من الصحيح القول: لا مساومة أبداً؟ .....
37	9 - الشيوعية «اليسارية» في إنجلترا .....
42	10 - بعض الاستنتاجات .....

## تقديم :

لقد وضع لينين هذا الكتاب في الفترة ما بين أبريل و ماي 1920، في ظروف كانت تعرف ولادة و نشوء أحزاب شيوعية جديدة، خاصة بعد تأسيس الأممية الشيوعية الثالثة سنة 1919، وكانت هذه الأحزاب تضم في صفوفها تصورات و مفاهيم خاطئة عن الثورة البلشفية، و عن المفاهيم النظرية و التنظيمية و أدوات الثورة عموماً، مما جعل الدوغمائية و اليسراوية تتسيد في صفوفها، وكان هذا سبباً دفع لينين إلى التصدي إلى هذه الانحرافات و معالجتها، فجاء كتابه "مرض اليسارية" الطفولي في الشيوعية" شاملاً من حيث عرضه لخبرات التجربة الثورية البلشفية في مجالات النظرية و التكتيك و أساليب العمل.

لقد بين لينين طبيعة الجمود العقائدي "اليساري" المتستر خلف عبارات ثورية كاذبة، فلم يكن في حقيقة أمره سوى تراجع عن النظرية الماركسية و تطبيقها، و الانزلاق نحو السنديكالية الفوضوية الراضية لفكرة الحزب السياسي، و لأهمية القيادة الثورية، مما يسقط الأحزاب الشيوعية الناشئة في طريق مسدود يعزلها عن جماهير العمال و الكادحين. و قد أكد لينين على أهمية الأممية عندما طرح أن البلشفية قامت بعمل تطبيق غير مسبوق من حيث ثراء تجربة و اختلاف و تعدد أشكال الحركة الثورية، و بالتالي فإن التنكر لذلك يعد تراجعاً عن الأممية و يفتح المجال أمام الانتهازية و التحريفية.

لقد عالج لينين أخطاء الأحزاب الشيوعية الجديدة، و أشار، مدعماً بالتجربة البلشفية، إلى طرق تلافيتها و إصلاحها. و قد أكد لينين على مبدأ أساسي يجب أن يحكم الأحزاب الشيوعية الثورية و هو :

"إن موقف الحزب السياسي من أخطائه هو أحد أهم و أفضل معايير جدية الحزب، و ما يؤديه من مسؤولية أمام طبقته، و أمام جماهير الكادحين".

لقد أطلق لينين على كتابه اسم "تجربة حديث شائع حول الاستراتيجية الماركسية والتكتيك"، ويعتبر كتاب "مرض اليسارية" الطفولي في الشيوعية" ذا قدرة على الجمع بين البساطة والتعميم من جهة، وبين أسلوب الإقناع الكبير في القضايا المتعلقة باستراتيجية وتكتيك الحزب الماركسي في نضاله الثوري، علما أن فترة صياغة الكتاب قد اقترنت ببرنامج الإعداد للمؤتمر الثاني للأمم الشيوعية الثالثة، ففي تلك الفترة، كانت الحركة العمالية الثورية العالمية تمر بمرحلة نهوض، وتم تشكيل أحزاب شيوعية في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية واسبانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا وتركيا. وقد بلغ عدد الأقطار التي تم فيها عام 1920 تشكيل أحزاب وتكتلات شيوعية 41 قطرا. وقد أدى هذا النمو السريع إلى توسيع وتدعيم الجبهة الثورية، إلا أنه كانت هناك مخاطر تعود بالأساس إلى غياب النضج السياسي الكافي للحركة الشيوعية الجديدة، وقد دعم هذه المخاطر تسرب عناصر يمينية ويسارية من انتهازيي الحركة الاشتراكية الديموقراطية إلى صفوف هذه الأحزاب الشيوعية الجديدة، وكانت هذه التيارات تحمل عبارات ثورية براقية، هكذا صبح الخطر الرئيسي كامنا وراء الانتهازية "اليسارية". ولمواجهة ذلك أعار لينين أهمية بالغة للتربية الماركسية للحركة الشيوعية والعمالية العالمية، وللأسلح الفكري والتنظيمي للأحزاب الفتية في نضالها من أجل التأثير على الجماهير، ولذلك قام لينين بتعميم خبرة الحزب البلشفي عبر صياغة كتابه الكبير "مرض اليسارية" الطفولي في الشيوعية". وقد تم توزيع هذا الكتاب على مندوبي المؤتمر الثاني للكومنترن، حيث ترك انطباعا كبيرا وسط المندوبين، ولأن اتجاهها يخفي وراءه دائما اتجاهها آخر كما قال ماوتسي تونغ، فإن لينين يعلم الشيوعيين كيفية النضال في آن واحد ضد الانتهازية اليمينية (الإصلاحية والتحريرية) و ضد الانتهازية اليسارية (التعصب الحلقي والجمود العقائدي). وقد أظهر لينين طبيعة الجذور الطبقيّة والمصادر الفكرية لليسارية، حيث بين أن البيئة المغذية لهذه اليسارية هي البورجوازية الصغيرة في المدينة والريف، وكذلك الفئات المتأخرة من العمال، أما الأساس الفكري للانتهازية "اليسارية" هو التخلف النظري، وعدم إعطاء الماركسية قيمتها الحقيقية، وضعف الخبرة السياسية و

الجمود العقائدي و انعدام الأسلوب العلمي لتحليل الأحداث و الظواهر، و عدم الاعتراف بالقوانين الطبيعية لتطور المجتمع، و انعدام الثقة بالقوة الثورية الخلاقة للشعب.

و من الناحية التاريخية تعود النزعة "اليسارية" للأحزاب الشيوعية الناشئة في أوروبا الغربية إلى ذلك الحقد الذي كان يكرهه قسم معين من العمال على الأعمال الخيانية، التي ارتكبتها قادة الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية و الزعماء الرجعيون في الحركة النقابية.

و استنادا إلى تجربة الثورات الروسية الثلاث (1905، فبراير 1917، أكتوبر 1917) لخص لينين الإرث الثوري للبلشفية في مجموعة من المميزات منها :

- الدور القيادي للحزب الشيوعي، سواء خلال حقبة الإعداد للثورة، أو بعد الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل الطبقة العاملة.

- الأسس الأمامية لاستراتيجية الثورة و تكتيكها.

- التحول الثوري للمجتمع من خلال دكتاتورية البروليتاريا.

- تضامن الطبقة العاملة في بلد الثورة مع عمال وكادحي الأقطار الأخرى.

و قد بين لينين أن المميزات العامة للثورة البروليتارية و البناء الاشتراكي و قوانينهما، لا يمكن، و لا يجب أن تنفي قيمة أشكال و أساليب بناء اشتراكية في كل بلد ما، لأنها ستكون مختلفة بالضرورة طبقا للظروف الاقتصادية و التاريخية القومية التي تخص تطور هذا البلد أو ذاك، و بعد التأكيد على هذا، و على الرغم من ذلك، فالخصائص الأمامية العامة و الخصائص

القومية، حسب لينين تخضع لديالكتيك واحد تكون فيه القوانين العامة هي الحاسمة، و لذلك حذر لينين من عدم السماح بترجيح المصالح القومية على المصالح الأومية و القيام بالفصل بينهما، مما يؤدي إلى خرق المبادئ الثورية الماركسية و الأومية البروليتارية، مما يؤدي إلى السقوط في التعصب القومي و الشوفينية و التحريفية.

و بناء عليه، فقد رأى لينين أن المبادئ الأساسية للشيوعية هي واحدة بالنسبة للحركة العمالية العالمية بأجمعها.

علي محمود

16-7-2019

## ملخص كتاب " مرض " اليسارية " الطفولي في الشيوعية "

بقلم حمو خالد

### الجزء الأول

#### 1 - بأي معنى يمكن التحدث عن الأهمية العالمية للثورة الروسية؟

##### يجيب لينين قائلاً:

"في الأشهر الأولى التي أعقبت ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية في روسيا (25 أكتوبر-7 نوفمبر سنة 1917)، كان ممكناً أن يبدو أن الفوارق الكبرى بين روسيا المتأخرة والبلدان المتقدمة في أوروبا الغربية ستجعل ثورة البروليتاريا في هذه البلدان الأخيرة غير مشابهة لثورتنا إلا قليلاً للغاية. أمّا الآن فلدينا خبرة عالمية لا بأس بها تبين بأن بعض السمات الأساسية لثورتنا ليست ذات أهمية محلية ووطنية تميز روسيا فقط، بل ذات **أهمية عالمية** أيضاً. وأني أتحدث هنا عن الأهمية العالمية لا بالمعنى الواسع للكلمة، أي مدى تأثيرها على جميع البلدان، بل أتحدث بالمعنى الضيق للكلمة، أي أن المقصود بالأهمية العالمية هو القيمة العالمية أو الحتمية التاريخية لتكرار ما يجري عندنا، في النطاق العالمي، وأنه لا بد من الإقرار بهذه الأهمية لبعض السمات الأساسية لثورتنا.

وبالطبع يكون من الخطأ الفادح أن نغالي في هذه الحقيقة، وأن نعممها على أكثر من بعض السمات الأساسية لثورتنا. ويكون من الخطأ كذلك إغفال حقيقة أنه سيحدث، أغلب الظن، بعد انتصار الثورة البروليتارية ولو في بلد واحد من البلدان



المتقدمة، انعطاف حاد، بمعنى أن روسيا لن تبقى بعد ذلك بلداً نموذجياً بل سرعان ما تعود من جديد بلداً متأخراً (بالمعنى «السوفييتي» والاشتراكي للكلمة).

وخير دليل على هذه الأهمية العالمية للثورة الروسية هو ما كتبه وتبناه كارل كاو تسكي كمؤرخ، قبل أن يصبح مرتداً، في مقالة نشرت في الايسكرا، الجريدة الاشتراكية الروسية الديمقراطية الثورية سنة 1902 العدد 18 المؤرخ في 10 مارس".

## (2) أحد الشروط الأساسية لنجاح البلاشفة

لماذا نجح البلاشفة في ثورتهم؟

ويأتي جواب لينين قائلاً:

"إن ديكتاتورية البروليتاريا هي عبارة عن حرب ضروس تخوضها بمنتهى التفاني الطبقة الجديدة ضد عدو يفوقها بأساً، ضد البرجوازية التي تضاعفت مقاومتها عشرة أضعاف لسبب اسقاطها (وان في بلد واحدة فقط)، والتي لا يكمن بأسها في قوة الرأسمال العالمي، وفي قوة وامتانة الروابط العالمية للبرجوازية وحسب، بل في قوة العادة أيضاً، وفي قوة الإنتاج الصغير. وذلك لأن الانتاج الصغير لا يزال موجوداً، مع الأسف، بمقدار كبير وكبير جدا في العالم، والحال أن الانتاج الصغير يلد الرأسمالية والبرجوازية باستمرار، في كل يوم وفي كل ساعة، وبصورة عفوية وعلى نطاق واسع. ولهذه الأسباب جميعاً تغدو ديكتاتورية البروليتاريا ضرورية، والانتصار على البرجوازية مستحيل بدون حرب ضروس مديدة وعنيدة، حرب استماتة، حرب تقتضي رباطة الجأش والانضباط والصلابة والثبات ووحدة الإرادة".

ويضيف لينين:

"... يمكن التأكيد على أن أحد الشروط الأساسية للانتصار على البرجوازية هي المركزية المطلقة وانضباط البروليتاريا الصارم للغاية".

وفي أسباب عوامل هذا الانتصار المذكور أعلاه يطرح لينين الأسئلة التالية ويجب عنها:

" بم يوطد انضباط حزب البروليتاريا الثوري؟ وبم يجري امتحانه؟ وبم يدعم؟

أولاً، يوعي الطليعة البروليتارية ووفائها للثورة وبثباتها ورباطة جأشها وبطولتها وروح التضحية بالذات عندها.

وثانياً، باستطاعتها الترابط والتقارب، وإذا شئت اندماج لحد ما، مع أوسع جماهير الكادحين، وفي المقام الأول مع جماهير البروليتاريا، وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية.

وثالثاً، بصواب القيادة السياسية التي تقوم بها هذه الطليعة، وبصحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين، شرط أن تقتنع أوسع الجماهير الكادحة بهذه الصحة بتجربتها الخاصة.

وبدون هذه الشروط، لا يمكن تحقيق الانضباط في حزب ثوري كفاء حقا ليكون حزب الطبقة المتقدمة المدعوة إلى إسقاط البرجوازية وتحويل المجتمع كله، وبدون هذه الشروط تتحول محاولات توفير الانضباط ولا مناص إلى هراء وطنطنة وهذر.

ومن جهة أخرى لا يمكن أن تنبثق هذه الشروط فجأة. فهي لا تحصل إلاً بنتيجة كدح طويل وتجارب شاقة، ومما يسهل توفيرها هو النظرية الثورية الصحيحة، التي هي بدورها ليست عقيدة جامدة، ولا تتشكل نهائياً إلاً بالترابط الوثيق مع نشاط حركة جماهيرية حقا وثورية حقا.

### (3) المراحل الرئيسية في تاريخ البلشفية

حدد لينين مراحل التجربة البلشفية في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: سنوات إعداد الثورة (1903-1905)

في كل مكان كانت تلوح بوادر إعصار عظيم، جميع الطبقات في حركة وتأهب. صحف المهجر تطرح على الصعيد النظري جميع المسائل الأساسية للثورة. ممثلو الطبقات الأساسية الثلاث، التيارات السياسية الثلاثة:

1- التيار البرجوازي الليبرالي

2- التيار الديموقراطي البرجوازي الصغير (المغطى بيافطي النزعتين «الاشتراكية-الديموقراطية» و«الاشتراكية-الثورية».

3- التيار البروليتاري الثوري.

الكل يستبقون ويهيئون، في غمرة مناظرة الآراء البرنامجية والتكتيكية، صراع الطبقات المكشوف القادم.

المرحلة الثانية: سنوات الثورة (1905-1907)

جميع الطبقات تنبري على المكشوف. وجميع الآراء البرنامجية والتكتيكية تجرب بمحك عمل الجماهير. والنضال الإضرابي واسع وحاد إلى حد لم يسبق له مثيل في العالم.

ومن أبرز المميزات:

1- تحول الاضراب الاقتصادي بالتدرج إلى اضراب سياسي، ثم تحول الاضراب السياسي إلى انتفاضة، التحقق العملي من العلاقات بين البروليتاريا القائدة وبين الفلاحين المقودين المتأرجحين والمتذبذبين.

2- انبثاق الشكل السوفييتي للتنظيم في غمرة التطور العفوي للنضال. ومجادلات ذلك العهد حول أهمية السوفييتات، هي باكورة نضال سنوات 1917-1920 العظيم. وتناوب الأشكال البرلمانية وغير البرلمانية والأشكال العلنية وغير العلنية للنضال، وكذلك أشكال الترابط والتفاعل بينها - كل ذلك يتميز بغنى المضمون لحد مدهش. إن كل شهر من هذا العهد يضارع، من حيث استيعاب أسس علم السياسة- من قبل الجماهير والزعماء والطبقات والأحزاب على حد سواء- سنة من التطور «السلمي» و«الدستوري». فلولا «التمرين العام» في سنة 1905، لاستحال انتصار ثورة أكتوبر سنة 1917.

المرحلة الثالثة: سنوات الرجعية (1907-1910)

انتصرت القيصرية، وتم تحطيم جميع الأحزاب الثورية والمعارضة، ومحل السياسة حل الانحطاط والتفسخ والانشقاق والتشوش والارتداد والخلاعة. واشتد الجنوح نحو المثالية الفلسفية، وانتشر التصوف بوصفه ثوبا للنزاعات المعادية للثورة. بيد أن الهزيمة الكبيرة بالذات تلقن في الوقت نفسه الأحزاب الثورية والطبقة الثورية درسا واقعا من أنفع الدروس، درس الديالكتيك التاريخي، درس تفهم النضال السياسي والتضلع بفن خوضه. الصديق وقت الضيق، والجيوش المهزومة تتعلم دائما بهمة واجتهاد.

يجب على الأحزاب الثورية أن تكمل تحصيلها. فلقد تعلمت الهجوم، أما الآن فيتعين عليها أن تفهم أن من الضروري أن تتمم هذا العلم بعلم كيفية التراجع الصحيح. يتوجب عليها أن تفهم - والطبقة الثورية تتعلم فهم ذلك بتجربتها المرة- إنه يستحيل الانتصار بدون التضلع بالهجوم الصحيح والتراجع الصحيح.

ومن بين جميع الاحزاب المعارضة والثورية المنهزمة تراجع البلاشفة بأكبر نظام، وبأقل خسارة في "جيش" هم محتفظين بنواته لدرجة أكبر، وبأقل انشقاق في صفوفهم (من حيث العمق واستحالة العلاج)، وبأقل درجة من وهن العزيمة، وبأكبر قدرة على استئناف العمل على أوسع نطاق وبأقصى الصواب والنشاط. ولم يفلح البلاشفة في ذلك إلا بسبب أنهم فضحوا دون رحمة، وطردهوا الثوريين المتشدين الذين لم يريدوا أن يفهموا أنه لا بد من التراجع، وأنه لا بد من المهارة في التراجع، وأنه يجب إلزاما تعلم العمل العلني في أكثر البرلمانات رجعية وفيما هو الأكثر رجعية بين النقابات والمنظمات التعاونية ومنظمات التأمين وما شاكلها.

المرحلة الرابعة: سنوات النهوض (1910-1914)

يقول لينين عن هذه المرحلة:

" في البدء كان النهوض بطيئا للغاية، ومن ثم بعد حوادث لينا في سنة 1912، أخذ يسير أسرع نوعا ما. وقد تمكن البلاشفة وهم يذللون صعوبات منقطعة النظير، من إزاحة المناشفة، الذين كانت البرجوازية كلها بعد سنة 1905 قد أدركت على أتم وجه دورهم كعملاء للبرجوازية في حركة العمال، والذين كانت البرجوازية كلها تؤيدهم لهذا السبب بألف وسيلة ووسيلة ضد البلاشفة. بيد أن البلاشفة ما كانوا توصلوا إلى ذلك، لو أنهم لم يمارسوا تكتيكاً صحيحاً نعني الجمع بين العمل السري وبين الاستفادة إلزاما من «الإمكانات العلنية». وقد كسب البلاشفة جميع مقاعد مرتبة العمال في الدوما الأشد إغراقا في الرجعية.

المرحلة الخامسة: الحرب الإمبريالية العالمية الأولى (1914-1917)

يلخص لينين هذه المرحلة قائلا:

إن البرلمانية العلنية، مع كون «البرلمان مغرقا في الرجعية تماما، تقدم أنفع خدمة لحزب البروليتاريا الثورية أي للبلاشفة. وسينفى النواب البلاشفة إلى سيربيا. وتنعكس في صحف المهجر انعكاسا تاماً لجميع التلاوين من آراء الاشتراكية-الإمبريالية، والاشتراكية-الشوفينية، والاشتراكية-الوطنية، والأممية المتذبذبة والكاوتسكية حول خيانة البروليتاريا بذريعة الدفاع عن الوطن. ولئن استطاعت البلشفية أن تنتصر في سنوات 1917-1920، فإن أحد الأسباب الأساسية لهذا الانتصار هو أن البلشفية كانت حتى منذ أواخر 1914 تفضح دون رحمة خبث ودناءة وخسة الاشتراكية-الشوفينية و«الكاوتسكية» (التي تتفق واللونغيتية في فرنسا، وآراء زعماء حزب العمال المستقل والفابيين في إنجلترا، وتوراتي في إيطاليا والخ.)، ثم إن الجماهير قد اقتنعت فيما بعد بتجربتها الخاصة أكثر فأكثر بصحة آراء البلاشفة.

المرحلة السادسة: الثورة الثانية في روسيا (من فبراير حتى أكتوبر سنة 1917)

في تركيزه لمميزات هذه المرحلة يقول لينين:

"إن تقادم وشيخوخة القيصرية لحد فظيع قد أوجدا (بمساعدة ضربات وويلات الحرب المعذبة الطحون) قوة هدامة خارقة موجهة ضد القيصرية. ففي غضون بضعة أيام، تحولت روسيا إلى جمهورية برجوازية ديموقراطية، هي في ظروف الحرب أكثر حرية من أي بلد في العالم. لقد مزج التاريخ على نحو بحيث نشأت في روسيا في سنة 1905 السوفييتات، ثم شوها خلال حقبة فبراير-أكتوبر سنة 1917 المناشفة، الذين فشلوا نتيجة عدم استطاعتهم فهم دورها وأهميتها، وبحيث انبثقت الآن في العالم أجمع فكرة السلطة السوفييتية وهي تنتشر بين بروليتاريا جميع البلدان بسرعة لم ير لها نظير، هذا مع العلم أن صناديد الأممية الثانية القدمات يفشلون في كل مكان لعدم استطاعتهم فهم دور وأهمية

السوفييتات، على غرار مناشفتنا. لقد أثبتت التجربة أنه في عدد من المسائل الجذرية للثورة البروليتارية يتعين على جميع البلدان، ولا مناص، أن تحذو حذو روسيا".

"لقد بدأ البلاشفة نضالهم المظفر ضد الجمهورية البرلمانية، البرجوازية (في الواقع) وضد المناشفة باحتراس شديد، وهيئوه ليس البتة بسبل مألوفة، خلافا للآراء التي غالبا ما نعثر عليها الآن في أوروبا وأمريكا. إننا لم ندع في مستهل الفترة المذكورة إلى قلب الحكومة، بل كنا نشرح عدم إمكانية قلبها بدون أن تسبقه تعديلات في قوام السوفييتات وميولها. إننا لم ندع إلى مقاطعة البرلمان البرجوازي أي الجمعية التأسيسية، بل كنا نقول رسميا باسم الحزب - منذ كونفرانس أبريل (عام 1917) لحزبنا- أن جمهورية برجوازية مع جمعية تأسيسية خير من نفس هذه الجمهورية بدون جمعية تأسيسية، وأن جمهورية «العمال والفلاحين»، أي الجمهورية السوفييتية، خير من أية جمهورية برجوازية ديموقراطية، برلمانية. ولولا هذا العمل التحضيري الذي جرى باحتراس ودقة وتبصر خلال مدة طويلة لما استطعنا أن نحرز الانتصار في أكتوبر سنة 1917 ولا أن نحتفظ بهذا الانتصار".

4) في النضال ضد أي من الأعداء داخل حركة العمال نمت البلشفية وصلب عودها وتمرست؟

عن هذا السؤال قدم لينين الجواب التالي:

"إن البلشفية قد نمت وتشكلت وتمرست في نضال مديد ضد "الثورية البرجوازية الصغيرة" التي تشبه الفوضوية أو تقتبس بعض الشيء منها، والتي تتخلى، في كل ما هو جوهري، عن شروط ومقتضيات النضال الطبقي البروليتاري الدؤوب. لقد تقرر تماماً عند الماركسيين على الصعيد النظري - كما تأكد تماماً من خبرة جميع الثورات والحركات الثورية في أوروبا- أن المالك الصغير (وهو العنصر الاجتماعي المتواجد في كثير من البلدان الأوروبية بنطاق واسع جداً، جماهيري)، إذ يعاني دائماً في ظل

الرأسمالية من الظلم، وغالبا من تردي معيشتة بشدة وسرعة خارقتين ومن الخراب، ينتقل بسهولة إلى الثورة المتطرفة، إلا أنه غير قادر على أن يبدي المثابرة والصمود والانتظام والانضباط. وأن البرجوازي الصغير «المنزعج» من جراء فظائع الرأسمالية، هو كالفوضوية، ظاهرة اجتماعية ملازمة لجميع البلدان الرأسمالية. إن عدم ثبات هذه الثورية وعقمها، وقابليتها للتحول سريعا إلى اذعان، وخمول، وحتى إلى شغف «محموم» بهذا التيار البرجوازي أو ذاك الذي غدا «موضة»، قد أصبح معروف للجميع. ولكن الاعتراف النظري والمجرد بهذه الحقائق لا ينجي البتة الأحزاب الثورية من الأخطاء القديمة التي تظهر دائما في مناسبات غير متوقعة وبشكل جديد بعض الشيء، وفي حلل وملازمات لم تشهد سابقا، وفي ظروف خاصة، أصيلة إلى هذا الحد أو ذاك.

كثيرا ما كانت الفوضوية بمثابة عقاب على الخطايا الانتهازية لحركة العمال، وكلا هذين التشويشين مكمل لبعضهما".

"لقد تبنت البلشفية عند ظهورها في عام 1903 النضال ضد الحزب الذي كان يعبر أكثر من غيره عن نزاعات الثورية البرجوازية الصغيرة، أي ضد حزب «الاشتراكيين-الثوريين»، وذلك في نقاط رئيسية ثلاث:

أولاً، إن هذا الحزب، الذي كان ينفي الماركسية، ظل يأبي بعناد (أو بالأحرى لم يستطع) أن يدرك ضرورة المراعاة الموضوعية الدقيقة للقوى الطبقية وللعلاقة فيما بينها قبل مباشرة أي عمل سياسي.

ثانياً، أن هذا الحزب كان يرى «ثوريته» الخاصة أو «يساريته» في اعترافه بالإرهاب الفردي وممارسة الاغتيال، الأمر الذي رفضناه نحن الماركسيين رفضاً باتاً.



ثالثاً، كان «الاشتراكيون-الثوريون» يرون «اليسارية» في هزئهم بالأخطاء الانتهازية غير الكبيرة نسبياً لدى الاشتراكية-الديموقراطية الألمانية، وذلك إلى جانب حذوهم حذو الانتهازيين المتطرفين من نفس هذا الحزب، مثلاً، في المسألة الزراعية أو في مسألة ديكتاتورية البروليتاريا....

إن نضال البلشفية ضد الانحرافات «إلى اليسار» في حزبها هي قد اتخذت مقاييس كبيرة على الأخص في حالتين: في سنة 1908 بصدد مسألة الاشتراك في «البرلمان» الرجعي للغاية، وفي جمعيات العمال العلنية التي استنتت لها أشد القوانين رجعية، ثم في سنة 1918 (صلح بريست ليتوفسك) بصدد مسألة جواز هذه «المساومة» أو تلك.

في سنة 1908، فصل البلاشفة «اليساريون» من حزبنا لعنادهم في الامتناع عن فهم ضرورة الاشتراك في «البرلمان» الرجعي للغاية. وهؤلاء «اليساريون» - وفي عدادهم كان كثيرون من الثوريين البارعين الذين غدوا فيما بعد (ولا يزالون) أعضاء شرفاء في الحزب الشيوعي- كانوا يستندون بخاصة إلى تجربة المقاطعة الناجحة لانتخابات سنة 1905. فعندما أعلن القيصر في غشت سنة 1905، دعوة «البرلمان» الاستشاري، أعلن البلاشفة مقاطعته -على النقيض من جميع الأحزاب المعارضة ومن المناشفة- وبالفعل ثورة أكتوبر سنة 1905 كنسته. إن المقاطعة كانت آنذاك صحيحة لاسبب أن عدم الاشتراك في البرلمانات الرجعية بوجه عام هو أمر صحيح، بل لصحة تشخيص الظروف الموضوعية التي كانت تؤدي إلى تحول الاضرابات الجماهيرية بسرعة إلى إضراب سياسي، ثم إلى إضراب ثوري، وبعد ذلك إلى انتفاضة. أما المقاطعة في سنتي 1907 و 1908 والسنوات التي تلتها، فقد كانت خطأ فاحشاً من العسير إصلاحه، حيث، من جهة، لم يكن ممكناً توقع صعود سريع جداً لموجة ثورية وضرورة انتفاضة، وحيث، من جهة أخرى، كانت ضرورة الجمع بين النشاط العلني وغير العلني، تنجم عن كامل الوضوح التاريخي، وضع الملكية البرجوازية الجاري تجديدها. والآن، عندما

نلقي نظرة إلى الوراثة على الفترة التاريخية المنصرمة تماماً، والتي تجلت تماماً صلتها بالفترات التالية لها، يغدو واضحاً جداً أن البلاشفة ما كانوا استطاعوا أن يحتفظوا (ناهيك عن أن يعزوا ويطوروا ويقووا) بالنواة الصلبة لحزب البروليتاريا الثوري في سنة 1908-1914، لو أنهم لم يذودوا في نضال حامي الوطيس عن إلزامية الجمع بين الأشكال العلنية وغير العلنية للنضال، مع إلزامية الاشتراك في البرلمان الرجعي للغاية وفي جملة من المؤسسات الأخرى التي استنت لها قوانين رجعية (كصناديق التأمين وما إليها)".

"لم يبلغ الأمر في سنة 1918 حد الانشقاق. فالشيوعيون «اليساريون» قد اكتفوا آنذاك بتشكيل جماعة خاصة أو «كتلة» في داخل حزبنا، ظلت موجودة مدة قصيرة. وفي سنة 1918 ذاتها اعترف أبرز ممثلي «الشيوعية اليسارية» كالرفيق رادك وبوخارين، بخطئهم أمام الملأ. فقد تراءى لهم أن صلح بريست هو مساومة مع الإمبرياليين غير جائزة مبدئياً ومضرة بحزب البروليتاريا الثورية. وقد كان ذلك في الواقع مساومة مع الإمبرياليين، لكنها كانت مساومة لا مناص منها في ذلك الظرف بالذات".

بعد هذا التوضيح يؤكد لينين :

"أن هناك مساومات ومساومات، وينبغي التمكن من تحليل الموقف والظروف الملموسة عند كل مساومة وكل نوع من أنواع المساومة.

إن الحزب الذي عقد مساومة مع الإمبرياليين الألمان بتوقيعه صلح بريست، عمل على صقل أمميته في الواقع منذ نهاية سنة 1914. فهو لم يخف من أن ينادي بهزيمة الملكية القيصرية، وان يشجب شعار «الدفاع عن الوطن» في الحرب بين الضارين الإمبرياليين. وقد فضل نواب هذا الحزب في البرلمان طريق النفي إلى سيبيريا على الطريق المؤدي إلى

الكراسي الوزارية في الحكومة البرجوازية. والثورة التي أسقطت القيصرية وأقامت الجمهورية الديمقراطية قد جعلت هذا الحزب يواجه فحصاً جديداً وعظيماً: فهو لم يقدم على أي اتفاق مع إمبريالي «بلاده»، بل وقد أعد لإسقاطهم وأسقطهم. وبعد أن أخذ الحزب السلطة السياسية، ألغى كلياً الملكية الإقطاعية والملكية الرأسمالية على السواء. وبعد أن نشر الحزب وفسخ اتفاقيات الإمبرياليين السرية، عرض السلام على جميع الشعوب، ولم يرضخ لقسر الكواسر في بريست إلا بعد أن أحبط الإمبرياليون الإنجليز والفرنسيون الصلح، وبعد أن بذل البلاشفة كل ما في وسع الطاقة الإنسانية للتعجيل بالثورة في ألمانيا، وفي أقطار أخرى. إن كامل صحة هذه المساومة التي عقدها هذا الحزب في مثل هذا الظرف يغدو يوماً بعد آخر أوضح وأجلى للجميع.

إن المناشفة والاشتراكيين-الثوريين في روسيا (مثل جميع زعماء الأمم الثانية في العالم كله في سنوات 1914-1920)، قد بدأوا من الخيانة بتبريرهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة شعار «الدفاع عن الوطن»، أي الدفاع عن برجوازياتهم الناهية. وقد مضوا في الخيانة بدخولهم في ائتلاف مع برجوازية بلادهم وبشن النضال سوية مع برجوازياتهم ضد البروليتاريا الثورية

في بلادهم. فقد كان تكتلهم بادئ الأمر مع كرينسكي<sup>1</sup> والكاديت<sup>2</sup> وفيما بعد مع كولتشاك<sup>3</sup> ودينيكين<sup>4</sup> في روسيا، شأنه شأن تكتل إخوانهم في الفكر في الخارج مع برجوازية بلدانهم، انتقالاً إلى جانب البرجوازية ضد البروليتاريا. إن مساومتهم مع قطاع الطرق الامبرياليين كانت من أولها إلى آخرها عبارة عن جعلهم أنفسهم شركاء في اللصوصية الإمبريالية.

### 5) الشيوعية «اليسارية» في ألمانيا. الزعماء - الحزب - الطبقة - الجماهير

إن أبرز علائم «مرض اليسارية الطفولي» في ألمانيا، كما يقول لينين، هي التي يعبر عنها ما يصفون أنفسهم بالمعارضة المبدئية داخل الحزب الشيوعي الألماني، من خلال كراس، بعنوان «انشقاق الحزب الشيوعي الألماني (اتحاد السبارتكيين)»، وأهم ما يعرضه، ما يلي:

#### «الحزب الشيوعي هو حزب النضال الطبقي الأشد عزماً...»

1. الكسندر كرينسكي (1881-1970): محامي ورجل سياسة روسي، كان عضواً في "حزب الاشتراكيين الثوريين"، وأصبح وزيراً في الحكومة المؤقتة لروسيا بعد ثورة فبراير 1917، ثم تقلد منصب رئيس الحكومة المؤقتة من 12 يوليو إلى 8 نونبر 1917، قبل أن تطيح بحكومته ثورة أكتوبر العظمى.
2. الكاديت: هو اختصار لاسم "الحزب الدستوري الديمقراطي الروسي" حزب سياسي ليبرالي يمثل مصالح البورجوازية الروسية قبل ثورة أكتوبر.
3. الكسندر كولتشاك (1874-1920): ضابط في الجيش الإمبراطوري الروسي من درجة أميرال، تم تعيينه حاكماً أعلى لروسيا من طرف القوات المعادية للثورة البلشفية، خلال الحرب الأهلية.
4. انطون دينيكين (1874-1947): جنيرال روسي، كان رئيساً للأركان العامة للجيش الإمبراطوري الروسي خلال الحرب الإمبريالية الأولى، قاد قوات المتطوعين المعادين للثورة (القائد الأعلى) إبان الحرب الأهلية الروسية.

« ... إن هذه المرحلة الانتقالية » (بين الرأسمالية والاشتراكية) « هي ، من الناحية السياسية، مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا... »

ثم يضاف في هذا الكراس:

« لقد اختارت المعارضة طريقاً آخر. فهي ترى أن مسألة سيادة الحزب الشيوعي وديكتاتورية الحزب ليست سوى مسألة التكتيك. وعلى كل حال، إن سيادة الحزب الشيوعي هي آخر شكل لكل سيادة للحزب. ينبغي مبدئياً السعي إلى ديكتاتورية الطبقة البروليتارية، وكل تدابير الحزب ومنظّماته وشكل نضاله واستراتيجيته وتكتيكه يجب أن تتفق وهذا الأمر. ونظراً لذلك يجب أن ترفض بكل حزم أية مساومة مع الأحزاب الأخرى، وأية عودة إلى أشكال النضال البرلمانية التي ولي عهداً تاريخياً وسياسياً، وأية سياسة للمناورة والتوفيق ».

كما « يجب التنبيه بشدة إلى الأساليب البروليتارية الصرفة في النضال الثوري. ومن أجل اجتذاب أوسع الأوساط والفئات البروليتارية التي يجب أن تسير في النضال الثوري تحت قيادة الحزب الشيوعي، لا بد من إيجاد أشكال تنظيمية جديدة قائمة على أسس واسعة للغاية، وفي حدود واسعة للغاية. إن هذا المحل لحشد العناصر الثورية جميعاً هو اتحاد العمال المبني على أساس من منظمات المصانع. وفيه يجب أن يتحد جميع العمال الذين يقتفون شعار: أخرجوا من النقابات! هنا تتشكل البروليتاريا المناضلة في أوسع صفوفها الكفاحية. ويكفي للدخول فيه الاعتراف بالنضال الطبقي والنظام السوفييتي والديكتاتورية. وكل ما يلي ذلك من تربية الجماهير المناضلة تربية سياسية والتوجيه السياسي في النضال هو مهمة الحزب الشيوعي الذي يبقى خارج اتحاد العمال... »

ويخلص أصحاب الكراس إلى ما يلي:

«...إذن، فإن هناك الآن حزبين شيوعيين يواجه أحدهما الآخر: أحدهما هو حزب الزعماء الذي ينزع لتنظيم النضال الثوري، وقيادته من أعلى، ويقدم على المساومات وعلى البرلمانية، وكذلك قصد إيجاد حالات تتيح لهؤلاء الزعماء الاشتراك في حكومة ائتلافية تكون الديكتاتورية في يدها.

والآخر هو حزب الجماهير الذي يتوقع نهوض النضال الثوري من أسفل، والذي يعرف ويطبق في هذا النضال أسلوباً واحداً فقط مؤدياً بشكل واضح إلى الهدف، ويرفض جميع الأساليب البرلمانية والانتهازية، وهذا الأسلوب الأوحدهو إسقاط البرجوازية دون قيد أو شرط، لكي تقام بعد ذلك ديكتاتورية الطبقة البروليتارية من أجل تحقيق الاشتراكية...»  
بعد استعراض هذه الفقرات اليسراوية للشيوخيين الألمان يوضح لينين الموقف الثوري الحقيقي:

"إن كل الطبقات في العادة، وفي أغلبية الحالات، وعلى الأقل في البلدان المتمدنة المعاصرة، تقودها الأحزاب السياسية، وأن الأحزاب السياسية، كقاعدة عامة، تدار من قبل جماعات ثابتة نسبياً من الأشخاص الأكثر سمعة ونفوذاً وتجربة، ممن انتخبوا للمناصب الأكثر مسؤولية، ويدعون بالزعماء. تلك كلها بديهيات أبجدية، إن كل ذلك بسيط وواضح، فما الداعي إلى استبدال ذلك بمثل هذه الرطانة ولغة الفولابوك الجديدة هذه؟

فمن جهة، حسبما يبدو، ارتبك هؤلاء، إذ أخرجهم تحول الحزب بسرعة من الوضع العلني إلى النشاط السري، بحيث تختل بذلك العلاقات العادية والمرتبة والبسيطة بين الزعماء والأحزاب والطبقات. لقد اعتادوا في ألمانيا، كما في سائر البلدان الأوروبية، اعتماداً يفوق الحد على النشاط العلني، وعلى انتخاب «الزعماء» انتخاباً حراً وسليماً في مؤتمرات الحزب المنتظمة، وعلى الفحص المريع لتركيب الأحزاب الطبقي عن طريق الانتخابات البرلمانية والاجتماعات والصحافة وتتبع أمزجة النقابات وغيرها من الاتحادات الخ... وعندما اضطروا، بحكم سير الثورة وتطور الحرب الأهلية

العاصفين، للانتقال من هذا الوضع المألوف، للانتقال بسرعة من الحالة العلنية إلى السرية وإلى الجمع بين الإثنين، إلى الطرق «غير المريحة» و«غير الديمقراطية» من أجل انتقاء أو تشكيل أو حفظ «جماعات الزعماء»، تحير هؤلاء، وأخذوا يلفقون تلفيقات خرقاء.

ومن جهة أخرى، يلاحظ استعمال الكلمات «الرائجة» في وقتنا الراهن بصدد «الجماهير» و«الزعماء» استعمالاً طائشاً. لقد سمع الناس وحفظوا كثيراً من الهجمات على «الزعماء»، ومن الأقوال بخصوص معارضتهم «بالجماهير»، لكنهم لم يستطيعوا أن يفكروا في ماهية الأمر، وأن يأخذوا فكرة واضحة عنه.

إن الخلاف بين «الزعماء» و«الجماهير» قد تجلى بمنتهى الوضوح والشدة في أواخر الحرب الإمبريالية وعلى أثرها في جميع البلدان. وسبب هذه الظاهرة الأساسي، قد شرحه ماركس وإنجلس مراراً عديدة في سنوات 1852-1892 بمثال إنجلترا. فوضع إنجلترا الاحتكاري قد فرز من بين «الجماهير» «فئة الأرسطوقراطية العمالية» وهي فئة انتهازية وتشبه البرجوازية الصغيرة. وكان زعماء هذه الأرسطوقراطية العمالية ينتقلون على الدوام إلى جانب البرجوازية، وكانوا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يتقاضون منها الجرايات.

وبالتالي إن الوصول في المحاججات بهذا الصدد إلى حد مواجهة ديكتاتورية الجماهير، بشكل عام، بديكتاتورية الزعماء، هو بلاذة وسخافة تدعوا للضحك.

إن النتيجة التي حصلت عند المعارضة هي انكار الحزبية والانضباط الحزبي . وهذا ما يعادل تجريد البروليتاريا من السلاح تجريداً تاماً لصالح البرجوازية. وهذا ما يعادل ذلك التشتت والتذبذب الملازمين للبرجوازية الصغيرة وعدم قدرتها على الصمود والاتحاد والأعمال المنسقة، مما لو قوبل بالتغاضي لأودى، لا محالة، بأية حركة ثورية بروليتارية.

إن نفي الحزبية من وجهة نظر الشيوعية يعني القفز من عشية سقوط الرأسمالية (في ألمانيا)، لا إلى المرحلة الدنيا أو المتوسطة من الشيوعية، بل إلى مرحلتها العليا. نحن في روسيا (في السنة الثالثة بعد إسقاط البرجوازية) نخطو الخطوات الأولى في طريق الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية أي إلى الطور الأدنى للشيوعية. لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى في كل مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة.

إن القضاء على الطبقات لا يعني فقط طرد الملاكين العقاريين والرأسماليين، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيا، إنه يعني كذلك القضاء على منتجي البضائع الصغار، وهؤلاء لا يمكن طردهم، ولا يمكن قمعهم، إنما يلزم أن نتعايش معهم، فمن الممكن (والواجب) إصلاحهم وتربيتهم على نمط جديد، وذلك فقط بواسطة عمل تنظيمي مديد يحقق ببطء واحتراس. فهؤلاء يحيطون بالبروليتاريا من جميع الجهات بروح البرجوازية الصغيرة، وهذه الروح تتسرب في البروليتاريا وتفسدها، وتسبب على الدوام في أوساط البروليتاريا انتعاش ما يلزم البرجوازية الصغيرة من ميوعة وتشتت وفردية وتأرجح بين الحماسة والخمود. فلا بد من أن تسود داخل حزب البروليتاريا السياسي المركزية والانضباط الشديدان للغاية لمكافحة ذلك، ولأداء دور البروليتاريا التنظيمي (الذي هو دورها الرئيسي) أداء صحيحا وموفقا ومظفرا. إن ديكتاتورية البروليتاريا هي عبارة عن نضال عنيد، دموي وغير دموي، قسري وسلمي، حزبي واقتصادي، تربوي وإداري، يشن ضد قوى وتقاليد المجتمع القديم. إن قوة العادة عند الملايين وعشرات الملايين من الناس لهي أرهب قوة.

وإلى جانب مسألة الزعماء والحزب والطبقة والجماهير ينبغي طرح مسألة النقابات «الرجعية».



## الجزء الثاني

## 6 هل ينبغي أن يعمل الثوريون في النقابات الرجعية؟

يعتبر «اليساريون» هذا الأمر مفروغاً منه، وهو أن الجواب على هذا السؤال سلبي دون قيد أو شرط. ففي رأيهم أن الخطب والتهافتات الحانقة ضد النقابات «الرجعية» و«المضادة للثورة» كافية (ويعلل ذلك ك. هورنر «بوقار» خاص وبلادة خاصة) «لإثبات» عدم ضرورة وحتى عدم جواز عمل الثوريين الشيوعيين في النقابات الصفراء والنقابات الاشتراكية-الشوفينية والتوفيقية ونقابات ليغين والنقابات المضادة للثورة.

ولكن مهما وثق «اليساريون» الألمان من ثورية مثل هذا التكتيك، فإنه في الواقع خطأ من الأساس، وأنه لا يتضمن سوى عبارات جوفاء.

ولشرح ذلك، يقول لينين:

" أبدأ من تجربتنا، وفقاً للخطة العامة لهذه المقالة التي هدفها هو أن يطبق على أوروبا الغربية ما في تاريخ البلشفية وتكتيكها المعاصر من أمور شاملة التطبيق وذات أهمية للجميع والزامية للجميع.

إن الرأسمالية تترك للاشتراكية، لا محالة، ميراثاً هو، من جهة، الفوارق القديمة المهنية والحرفية الناشئة خلال القرون بين العمال، ومن جهة أخرى، النقابات التي لا يمكنها أن تتطور، ولن تتطور إلا بشكل بطيء جداً، طوال سنوات عديدة، إلى نقابات إنتاجية أكثر اتساعاً، وأقل اتساماً بروح الحرفية (وتحتضن صناعات بكاملها، لا طوائف الحرفيين والحرف والمهن وحدها) ثم بعد ذلك، وعن طريق هذه النقابات الانتاجية، يجري الانتقال إلى القضاء على تقسيم العمل بين الأفراد، وإلى

تربية وتعليم وإعداد أناس متطورين من جميع النواحي ومتعلمين من جميع النواحي، أي أناس قادرين على عمل كل شيء. إن الشيوعية تسير نحو هذا الهدف، ويجب أن تسير نحوه، وستدركه، ولكن بعد سنوات طوال، إلا أن محاولة التوصل عملياً اليوم إلى ما هو حصيلة للشيوعية المتطورة تماماً، والراسخة تماماً، والمكتملة والناضجة تماماً، إنما هي بمثابة محاولة تعليم الرياضيات العالية من الرابعة من العمر.

إن بإمكاننا (ويجب علينا) أن نشرع في بناء الاشتراكية ليس من مادة بشرية خيالية، أو من مادة نوجدتها خصيصاً، بل من تلك التي أورثتنا إياها الرأسمالية. حتماً، إن ذلك «عسير» للغاية، ولكن أي موقف آخر من حل المهمة سيكون موقفاً غير جدي إلى حد أنه لا يستحق حتى الحديث عنه.

كانت النقابات في مستهل تطور الرأسمالية تقدماً هائلاً للطبقة العاملة، على اعتبارها انتقالاً من تشتت وعجز العمال إلى باكورة اتحادهم الطبقي. وعندما أخذ ينشأ أعلى أشكال اتحاد البروليتاريين الطبقي، ونعني حزب البروليتاريا الثوري (الذي لن يستحق هذه التسمية إلا إذا أجاد جمع الزعماء والطبقة والجماهير في كل واحد لا يتجزأ)، بدأ يظهر لدى النقابات، لا محالة، بعض من السمات الرجعية، وبعض من الضيق الحرفي، وميل نحو اللامبالاة في السمات الرجعية، وميل نحو اللامبالاة في السياسة، وبعض من التحجر الخ.. لكن تطور البروليتاريا لم يجر وما كان ممكناً أن يجري في أي مكان في العالم إلا عن طريق النقابات، عن طريق تفاعلها مع حزب الطبقة العاملة. إن ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية هو خطوة هائلة إلى الأمام تقطعها البروليتاريا كطبقة، ولذا يجب على الحزب أكثر من السابق أن يربي النقابات، لا بالطريقة القديمة وحدها، بل وبطريقة جديدة، وان يقودها، وألا ينسى، إلى جانب ذلك، أن النقابات تبقى وستبقى لزمان مديد «مدرسة للشيوعية» لا بد منها، مدرسة لإعداد البروليتاريا لأجل تحقيق ديكتا توريتهما، اتحاداً

ضرورياً للعمال من أجل تأمين انتقال زمام ادارة كامل اقتصاد البلاد انتقالاً تدريجياً إلى يد الطبقة العاملة (لا بعض المهن)، ثم إلى أيدي الكادحين جميعاً.

إن «رجعية» النقابات لحدما، بالمعنى المذكور، هي أمر لا مناص منه في ظل ديكتاتورية البروليتاريا. وعدم فهم هذه الحقيقة يعني عدم الادراك التام للشروط الأساسية للانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. والخوف من هذه «الرجعية»، ومحاولة تحاشيها، وتخطيها حماقة كبرى، لأن هذا يعني الخوف من ذلك الدور الذي يقع على عاتق الطليعة البروليتارية والذي يتلخص في تعليم وتثقيف الفئات والجماهير الأكثر تأخرًا من الطبقة العاملة والفلاحين وفي تربيتها واجتذابها إلى الحياة الجديدة. ومن الجهة الأخرى، إن إرجاء تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا إلى حين لا يبقى عامل واحد ذو ميول مهنية ضيقة، أو عامل واحد ذو أوهام حرفية وتريديونيونية<sup>5</sup>، هو خطأ أفدح أيضاً. إن فن السياسة (وفهم الشيوعي فهماً صحيحاً لواجباته) يتلخص بالضبط في التحديد الصائب للظرف واللحظة اللذين تستطيع فيهما طليعة البروليتاريا أن تقبض على زمام السلطة بنجاح، وتستطيع أن تحظى أثناء ذلك وبعد ذلك بالتأييد الكافي من الوساطة الواسعة لدرجة كافية من الطبقة العاملة والجماهير الكادحة غير البروليتارية، وتستطيع بعد ذلك أن تحفظ وتعزز وتوسع سيطرتها، إذ تربي وتعلم وتجذب جماهير أوسع فأوسع من الكادحين.

كما أن النضال ضد «الأرستوقراطية العمالية» إنما نشنه باسم جماهير العمال ومن أجل استمالتها إلى جانبنا، والنضال ضد الزعماء الانتهازيين والاشتراكيين-الشوفينيين إنما نشنه بغية استمالة الطبقة العاملة إلى جانبنا. فمن الحماسة

5 . التريديونيونية: هو تنظيم النقابات البريطاني القائم على تنظيم مهني، وعلى نظرة نقابية اصلاحية واقتصادية لا تسعى إلى القضاء على الاستغلال الرأسمالي، بل فقط تلطيف الاستغلال، وترفض الوعي السياسي الطبقي الثوري للبروليتاريا لأنه يؤدي إلى الثورة والقضاء على علاقات الإنتاج الرأسمالية. انتقد لينين هذه النزعة الاقتصادية في كتابه الشهير " ما العمل؟".

نسيان هذه الحقيقة البسيطة والواضحة للغاية بحد ذاتها. وهذه حماقة بالذات يرتكبها الشيوعيون الألمان «اليساريون» الذين يخلصون، منطلقين من رجعية القمة المترأسة في النقابات وعدائها للثورة، إلى القول... بالخروج من النقابات!! وبالامتناع عن العمل فيها!! وبإنشاء أشكال جديدة، مصطنعة لتنظيم العمال!! وهذه حماقة لا تغتفر إذ تضارع أعظم خدمة يمكن أن يقدمها الشيوعيون للبرجوازية.

(7) هل يجب الاشتراك في البرلمانات البرجوازية؟

يجيب الشيوعيون «اليساريون» الألمان بمنتهى الاستخفاف، وينزق ما بعده نزق، على هذا السؤال جواباً سلبياً. فما هي حججهم؟ لقد جاء في الفقرة المقتبسة المذكورة أعلاه ما يلي:

«... يجب بكل حزم رفض أية عودة إلى طريق النضال البرلمانية التي ولي عهدها تاريخياً وسياسياً...».

يجيب لينين ويوضح:

"إن هذا الزعم متعجرف إلى حد يدعو للضحك، كما أنه خاطئ بشكل بيّن. «العودة» إلى البرلمانية! هل قامت جمهورية سوفيتية في ألمانيا يا ترى؟ كلا، حسبما يبدو! فكيف إذن يمكن الحديث عن «العودة»؟ أليس ذلك مجرد عبارة جوفاء؟

البرلمانية قد «ولي عهدها تاريخياً». إن هذا صحيح من ناحية الدعاية. ولكن كل واحد يعلم أنه شتان ما بين هذا وبين التغلب على البرلمانية عملياً. فمنذ عشرات السنين كان من الممكن، ومع أتم الحق، أن يقال أن الرأسمالية «قد ولي عهدها تاريخياً» ولكن هذا لا ينفي قط ضرورة شن نضال مديد جداً وعنيد للغاية في صعيد الرأسمالية. إن البرلمانية قد «ولي عهدها تاريخياً» من وجهة نظر التاريخ العالمي، أي بمعنى أن عهد البرلمانية البرجوازية قد انطوى، وأن عهد

ديكتاتورية البروليتاريا قد بدأ. هذا ما لا جدال فيه، بيد أن الحساب على الصعيد التاريخي العالمي يجري بعشرات السنين.

هل البرلمانية قد «ولى عهداً سياسياً»؟ هذه قضية أخرى. فلو كان ذلك صحيحاً لكان موقف «اليساريين» وطيداً. غير أن هذا ما ينبغي إثباته بتحليل جدي، بينما «اليساريون» لا يعرفون حتى كيف يتناولون هذا التحليل. أولاً، إن «اليساريين» الألمان، كما هو معروف، قد اعتبروا، حتى منذ يناير 1919، أن البرلمانية قد «ولى عهداً سياسياً»، وذلك بالرغم من رأي قائدين سياسيين مرموقين كروزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت.

إن هذا القول، حسب كل الدلائل، مفرط في التعميم والمبالغة. لكن الحقيقة الأساسية الواردة هنا لا جدال فيها، واعتراف «اليساريين» بها هو شهادة بينة للغاية على خطئهم. إذ كيف يمكن أن يزعموا أن «البرلمانية قد ولى عهداً سياسياً»، إذا كانت «الملايين» و«الفيالق» من البروليتاريين لا تزال تؤيد البرلمانية بوجه عام، وليس هذا وحسب، بل أنها أيضاً «معادية للثورة» مباشرة؟! واضح أن البرلمانية في ألمانيا لما يول عهداً سياسياً. وواضح أن «اليساريين» في ألمانيا قد اعتبروا رغبتهم وموقفهم السياسي والفكري واقعاً موضوعياً. وهذه هي أخطر غلطة يرتكبها الثوريون.

ثانياً، يسهب الشيوعيون «اليساريون» في الأقوال الطيبة بحقنا نحن البلاشفة. ويودي أحيانا أن أقول: حبذا لو قللت من كيل المديح لنا، وأكثرتم من التمعن في تكتيك البلاشفة ومن التعرف به! لقد اشتركنا نحن في انتخابات البرلمان البورجوازي الروسي - الجمعية التأسيسية- في سبتمبر- نوفمبر سنة 1917. فهل كان تكتيكنا صحيحاً أم لا؟ فإذا لم يكن صحيحاً، ينبغي أن يقولوا ذلك بوضوح وتثبتوه، فذلك أمر ضروري من أجل وضع تكتيك صحيح من قبل الشيوعية العالمية. وإذا كان صحيحاً، فينبغي أن تستنتجوا من ذلك عبراً معينة. بديهي أنه لا يمكن أبداً اعتبار الظروف في روسيا والظروف في أوروبا

الغربية متساوية. ولكن فيما يتعلق بالمسألة الخاصة، مسألة ماذا يعني مفهوم أن «البرلمانية قد ولي عهداً سياسياً» لا بد من مراعاة تجربتنا مراعاة دقيقة، إذ أن مثل هذه المفاهيم تتحول بسهولة كبيرة جداً، في حال عدم مراعاة التجربة الملموسة، إلى عبارات جوفاء. أفلم يكن من حقنا، نحن البلاشفة الروس، في سبتمبر- نوفمبر سنة 1917، أكثر من أي من الشيوعيين الغربيين، أن نعتبر البرلمانية في روسيا قد ولي عهداً سياسياً؟ بالطبع كان ذلك من حقنا، لأن القضية ليست في كون البرلمانات البرجوازية موجودة من أمد بعيد أو قريب، بل في مقدار استعداد الجماهير الغفيرة الكادحة (استعداداً فكرياً وسياسياً وعملياً) لقبول النظام السوفييتي وحل (أو السماح بحل) البرلمان البرجوازي الديموقراطي.

الاستنتاج من ذلك لا جدال فيه إطلاقاً: فلقد ثبت أن الاشتراك في البرلمان البرجوازي الديموقراطي، حتى لبضعة أسابيع قبل انتصار الجمهورية السوفييتية، وحتى بعد هذا الانتصار، لا يضر البروليتاريا الثورية، بل يسهل لها إمكانية أن تثبت للجماهير المتأخرة لماذا تستوجب هذه البرلمانات الحل، وهو يسهل النجاح في حلها، ويسهل «إزالة» البرلمانية البرجوازية «سياسياً». إن عدم أخذ هذه التجربة بعين الاعتبار، والادعاء في ذات الوقت بالانتماء إلى الأممية الشيوعية، التي ينبغي أن تضع تكتيكها أممياً (لا تكتيك وطني ضيق وذو جانب واحد، بل بالضبط كتكتيك أممي)، يعني ارتكاب أفحش غلطة، والتراجع عن الأممية فعلاً، مع الاعتراف بها قولاً.

وبعد الحديث عن اليسارية الألمانية يتطرق لينين إلى شقيقتها الهولندية:

"والآن فلنلق نظرة على الحجج «اليسارية الهولندية» تأييداً لعدم الاشتراك في البرلمانات، إليكم ترجمة (عن الانجليزية) لأهم موضوعات من الموضوعات «الهولندية» المذكورة أعلاه، ونعني بها الموضوعات الرابعة:

«عندما يكون تحطيم نظام الانتاج الرأسمالي قد تم ويكون المجتمع في حالة الثورة، يفقد النشاط البرلماني بالتدريج أهميته بالقياس إلى نشاط الجماهير نفسها. وعندما يصبح البرلمان، في مثل هذه الظروف، مركز العداء للثورة وهيئته، بينما الطبقة العاملة تصنع، من الجهة الأخرى، أداة سيطرتها بشكل السوفييتات، قد يكون حتى من الضروري الامتناع عن كل اشتراك أيا كان في النشاط البرلماني».

إن الجملة الأولى غير صحيحة بشكل بين، لأن أعمال الجماهير، كالإضراب الكبير مثلاً، هي أهم من النشاط البرلماني على الدوام، وليس فقط في زمن الثورة أو في حالة توفر الوضع الثوري. إن هذه الحجة البينة بطلانها، وغير الصحيحة من الوجهة التاريخية والسياسية، تبين بوضوح خاص أن واضعي هذه الموضوعات لا يأبهون أبداً لا للتجربة الأوروبية العامة (الفرنسية قبيل ثورتي سنتي 1848 و 1870، والألمانية لسنوات 1878-1890، وغير ذلك) ولا للتجربة الروسية (راجع ما ذكر أعلاه) فيما يخص أهمية الجمع بين النضال العلني والسري.

والجملة الثانية هي:

- أولاً، غير صحيحة تاريخياً، فلقد اشتركنا نحن البلاشفة في أشد البرلمانات عداء للثورة، وقد برهنت التجربة أن مثل هذا الاشتراك لم يكن مفيداً وحسب، بل كان ضرورياً أيضاً لحزب البروليتاريا الثورية، بالضبط بعد الثورة البرجوازية الأولى في روسيا (1905) من أجل التحضير للثورة البرجوازية الثانية (فبراير 1917)، وبعد ذلك للثورة الاشتراكية (أكتوبر 1917).

- ثانياً، إن هذه الجملة غير منطقية لحد مدهش. فمن واقع أن البرلمان يصبح هيئة العداء للثورة و«مركزه» (ونذكر عرضاً أن البرلمان لم يكن في الواقع قط «مركزاً» ولا يمكنه أن يكونه)، وأن العمال ينشئون أداة سلطتهم بشكل السوفييتات، ينجم أن العمال ينبغي أن يستعدوا، فكرياً وسياسياً وفتياً، لنضال السوفييتات ضد البرلمان، ولحل البرلمان من جانب

السوفييتات. غير أنه لا ينجم من هذا أبداً أن وجود معارضة سوفيتية داخل البرلمان المعادي للثورة يعيق مثل هذا الحل، أو أنه لا يسهله. إننا لم نلاحظ ولا مرة، أثناء نضالنا المظفر ضد دينيكن وكولتشاك، أن وجود معارضة سوفيتية بروليتارية في معسكرهما كان أمراً لا شأن له في انتصاراتنا. إننا نعرف خير معرفة أن وجود المعارضة السوفيتية، سواء منها المعارضة البلشفية الراسخة أو معارضة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين المتقلقلة، في داخل الجمعية التأسيسية المعادية للثورة، المقرر حلها، لم يعسر علينا تحقيق حل هذه الجمعية التأسيسية في 5 يناير سنة 1918 بل سهله.

صحيح أنه بدون هذه الروحانية، لا يمكن تطبيق التكتيك الثوري في العمل؛ إلا أننا في روسيا قد اقتنعنا على أساس تجربة مديدة للغاية، وشاقة، ودامية، بحقيقة أنه يستحيل بناء تكتيك ثوري على الروحانية الثورية وحدها. يجب أن يقوم التكتيك على حساب دقيق وموضوعي تماماً لجميع القوى الطبقية في الدولة المعنية (والدول المحيطة بها، وجميع الدول في المجال العالمي) وكذلك على مراعاة تجربة الحركة الثورية.

إن إيجاد كتلة برلمانية ثورية حقاً في البرلمانات الأوروبية، لهو طبعاً أمر أصعب بكثير منه في روسيا. ولكن هذا ليس إلا تعبيراً جزئياً عن الحقيقة العامة القائلة بأنه كان من السهل لروسيا في ظروف سنة 1917 الملموسة، أن تبدأ الثورة الاشتراكية، بينما الاستمرار بالثورة والسير بها حتى النهاية سيكونان أصعب على روسيا منهما على البلدان الأوروبية. لقد تسنى لي في بداية سنة 1917 أن أشير إلى هذا الأمر، وتجربتنا خلال سنتين مضتتا بعد ذلك قد أكدت صحة هذا الرأي كل التأكيد. ومثل هذه الظروف الخاصة، كانت كما يلي:

+ إمكانية الجمع بين الانقلاب السوفييتي وبين إنهاء الحرب الامبريالية التي انتهت بفضلها والتي كانت قد أنهكت العمال والفلاحين لدرجة لا تصدق.



+ إمكانية الاستفادة، بعض الوقت، من الصراع المميت بين مجموعتي الضواري الإمبرياليين ذوي الجبروت العالمي الذين لم يكن باستطاعتهما أن تتحدا ضد العدو السوفييتي.

+ إمكانية تحمل حرب أهلية طويلة نسبياً، ومن أسباب ذلك أبعاد البلد الهائلة ورداءة وسائل النقل.

+ توفر الحركة الثورية البرجوازية الديمقراطية في أوساط الفلاحين العميقة إلى حد أن حزب البروليتاريا أخذ المطالب الثورية عن حزب الفلاحين (الحزب الاشتراكي-الثوري الذي كان في أكثريته على أشد العداء للبلشفية)، وحقها فوراً بفضل ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية.

(8) هل من الصحيح القول: لا مساومة أبداً؟

إليكم ما كتبه إنجلس في سنة 1874 ضد الثلاثة والثلاثين كومونياً من أشياغ بلانكي<sup>6</sup>: « كتب الكومونيون البلانكيون في بيانهم يقولون: «... نحن شيوعيون لأننا نريد أن نتوصل إلى هدفنا بدون أن نتوقف في المحطات الانتقالية، ودون أن نلجأ إلى المساومة التي لا تؤدي إلا إلى إبعاد يوم الانتصار وإطالة عهد العبودية».

ثم إليكم ما استخلصه لينين: " إن الشيوعيين الألمان هم شيوعيون، لأنهم من خلال جميع المحطات الانتقالية والمساومات التي لم ينشئوها هم، بل أنشأها مجرى التطور التاريخي، يرون الهدف النهائي بوضوح ويقتفونه باستمرار، وهذا

6 . أوغست بلانكي (1805-1881): اشتراكي ثوري فرنسي غير ماركسي، كان صحفياً ورجل سياسة وفيلسوفاً، شارك في كومونة باريس، وقضى جزءاً كبيراً من حياته في المعتقلات والسجون، وإليه ينسب تيار "البلانكية" في الحركة الثورية العالمية. ويمكن تلخيص نظريته الثورية بمايلي: " الثورة يجب أن تكون نتيجة لدفعة من طرف جماعة صغيرة منظمة من الثوريين الذين يعطون المساعدة الضرورية التي ستدفع الشعب إلى الثورة. هكذا، وبعدها يصل الثوريون إلى السلطة، يتكفون بوضع نظام اشتراكي جديد."

الهدف هو إلغاء الطبقات وإنشاء نظام اجتماعي لا يبقى فيه مكان للملكية الخاصة للأرض ولجميع وسائل الإنتاج. أمّا البلانكيون الثلاثة والثلاثون فهم شيوعيون لأنهم يتصورون أنهم ما داموا يريدون القفز من فوق المحطات الانتقالية والمساومات فإن الأمور ستكون على ما يرام، وأنه إذا «بدأت الثورة» في هذه الأيام، وهو ما يثقون به جازمين، ووقعت السلطة في أيديهم، فإن «الشيوعية ستتحقق» في اليوم الثاني. ومن هنا ينجم أنه إذا استحال عمل ذلك على الفور، فإنهم ليسوا إذاً شيوعيين".

«إنها لسذاجة صبيانية يقول لينين، أن يجعل المرء من جزئه الشخصي برهاناً نظرياً!».

ومن الطبيعي أن يبدو للثوريين الأحداث جدا والعديمي التجربة، وكذلك للثوريين البرجوازيين الصغار، وحتى للمقدمين منهم في السن والكثيري التجربة، أن «السماح بالمساومات» هو أمر «خطر» للغاية وغريب وغير صحيح. وهناك كثيرون من السفستائيين (من المتسييسة «ذوي التجارب» المفرطة) يفكرون تماماً كما يفكر زعماء الانتهازية الإنجليز الذين ذكرهم الرفيق لنسبري، إذ يقولون: «إذا كانت تجوز للبلاشفة هذه المساومة أو تلك، فلم لا يجوز لنا أن نقدم على أية مساومة كانت؟». ولكن البروليتاريين الذين ترعرعوا في الإضرابات العديدة (ولنأخذ فقط هذه الظاهرة من النضال الطبقي) يفهمون عادة فهماً حسناً كل عمق الحقيقة (الفلسفية والتاريخية والسياسية والنفسية) التي شرحها إنجلس. إن كل بروليتاري قد اجتاز الإضرابات، واجتاز «مساومات» مع الظالمين والمستثمرين الممقوتين، وذلك حين كان يترتب على العمال أن يعودوا إلى العمل وهم لم يحصلوا على شيء مطلقاً، أو أنهم يوافقون على تلبية مطالبهم بصورة جزئية. إن كل بروليتاري يلاحظ، بحكم ظروف النضال الجماهيري واشتداد وتوتر التناقضات الطبقيّة التي يعيش فيها، الفرق بين مساومة تفرضها الظروف الموضوعية (كالعجز في صندوق الإضراب، وعدم المؤازرة من الغير، واشتداد الجوع والاعياء إلى أقصى حد لدى المضربين) - مساومة لا تنتقص بأي مقدار من الإخلاص الثوري والاستعداد للمضي في النضال من جانب العمال الذين

أقدموا على مثل هذه المساومة، وبين مساومة أخرى، مساومة الخونة الذين يلقون على العلل الموضوعية جريرة أنانيتهم (وكاسري الإصرابات أيضاً يقدمون على «مساومات»!) وجريرة جنبهم ورغبتهم في التزلف إلى الرأسماليين، ووهنهم إزاء التهويل، وأحياناً إزاء الإقناع، وأحياناً إزاء الصدقات، وأحياناً إزاء مدهانات الرأسماليين (ومساومات الخونة هذه كثيرة على الخصوص في تاريخ الحركة العمالية الإنجليزية، وقد أجراها زعماء النقابات الإنجليزية، ولكن جميع العمال تقريبا في جميع البلدان قد شاهدوا نظائر هذه الظاهرة بشكل من الأشكال).

ومن هذا المنطلق يؤكد لينين على أنه ينبغي أن يكون عقل المرء سليماً لكيما يستطيع تحليل كل حالة على حدة:

"إن أهمية المنظمة الحزبية والزعماء الحزبيين الخليقين بهذا اللقب تنحصر، بالذات، في أن يعملوا، عن طريق الجهود المديدة الدائبة المتنوعة الشاملة التي تبذلها جميع القوى المفكرة في طبقة معينة، لإيجاد المعرفة اللازمة، والخبرة اللازمة، وعدا هاتين، الحدس السياسي اللازم، لكي ما تحل المسائل السياسية المعقدة حلا سريعا وصحيحاً. وليس كما يتصور السذج والعديمو التجربة من الناس، بالقول أنه يكفي الاعتراف بجواز المساومات بوجه عام، حتى تزول الحدود الفاصلة بين الانتهازية التي نشن نحن عليها، بل ويجب أن نشن عليها، نضالاً لا هوادة فيه، وبين الماركسية الثورية أو الشيوعية. ولكن ما دام هؤلاء الناس لم يعرفوا بعد أن جميع الحدود الفاصلة، سواء في الطبيعة أو في المجتمع، هي حدود متحركة، وأنها نسبية لدرجة معينة، فإن من المستحيل مساعدتهم إلا عن طريق تثقيفهم وتربيتهم وتهذيبهم زمنياً طويلاً وعن طريق التجربة في السياسة وفي الحياة. المهم أن يستطيع المرء، عند كل لحظة تاريخية معينة أو خاصة، ان يميز بين المسائل العلمية في السياسة تلك المسائل التي يظهر فيها الشكل الرئيسي من المساومات غير الجائزة والغادرة، المساومات التي هي مظهر للانتهازية المهلكة للطبقة الثورية، وأن يوجه جميع الجهود لتبيانها ومكافحتها.

إن الخوف من «المساومة» مع هذا الجناح من الحزب أمر مضحك تماماً. فإن الشيوعيين، بالعكس، ملزمون بأن يبحثوا ويجدوا الشكل الملائم للمساومة معهم، مساومة تسهل، من جهة، الاندماج التام الضروري مع هذا الجناح وتعجل فيه، ومن الجهة الأخرى لا تعيق الشيوعيين مطلقاً عن نضالهم الفكري السياسي ضد الجناح اليميني الانتهازي «للمستقلين». من المحتمل ألا يكون إيجاد الشكل الملائم للمساومة أمراً هيناً، فالدجال وحده بإمكانه أن يعد العمال والشيوعيين الألمان بأن يكون طريق النصر طريقاً «هيناً».

لأنه كم يقول لينين: لا تكون الرأسمالية رأسمالية إذا لم تكن البروليتاريا «الصرف» محاطة بجمهرة من العناصر الانتقالية المتنوعة تنوعاً خارقاً، من البروليتاريين إلى أشباه البروليتاريين (أولئك الذين يحصلون على نصف وسائل عيشهم من بيع قوت عملهم)، ومن أشباه البروليتاريين إلى الفلاحين الصغار (والحرفيين الصغار وأصحاب الملكية الصغار بوجه عام). ومن الفلاح الصغير إلى الفلاح المتوسط وهكذا دواليك، وإذا لم تكن البروليتاريا نفسها منقسمة في فئات أكثر تطوراً أو أقل تطوراً، ومنقسمة حسب مناطق الاستيطان، والمهنة، والدين أحياناً الخ. ومن كل هذا تنشأ ضرورة مطلقة، ضرورة لجوء طليعة البروليتاريا، وقسمها الواعي، أي الحزب الشيوعي، إلى مناورات التوفيق والمساومات مع مختلف فئات البروليتاريين، ومع مختلف أحزاب العمال وصغار أصحاب الملكية. وجوهر القضية كله يتلخص في معرفة كيفية تطبيق هذا التكتيك، لرفع المستوى العام لوعي البروليتاريا وثورتها وقدرتها على النضال وعلى الانتصار، لا النزول بذلك المستوى. وتجدر الإشارة عرضاً إلى أن انتصار البلاشفة على المناشفة قد تطلب ليس فقط قبل ثورة أكتوبر 1917، بل بعدها كذلك، تطبيق تكتيك المناورات والتوفيق والمساومات، ولكن، من البديهي، تلك التي منها تسهل أمر البلاشفة وتعجل بتحقيقه وتوطد موقعهم وتقويتهم على حساب المناشفة.

ويؤكد لينين قائلا: "إن نظريتنا ليست عقيدة جامدة، بل مرشد للعمل" هكذا قال ماركس وإنجلس- وإن أفدح غلطة وأبشع جريمة ارتكبها الماركسيون «من الماركة المسجلة»، أمثال كارل كاوتسكي وأوتو باور ومن في شاكتهم، هو أن هؤلاء لم يفهموا هذا الأمر ولم يستطيعوا تطبيقه في اللحظة الفاصلة من ثورة البروليتاريا".

### 9) الشيوعية «اليسارية» في إنجلترا

لا يوجد بعد في إنجلترا حزب شيوعي، لكن هناك بين العمال حركة شيوعية يانعة وواسعة وقوية ونامية بسرعة، تعطينا الحق في أن نبني عليها أزهى الآمال. هناك بضعة أحزاب ومنظمات سياسية («الحزب الاشتراكي البريطاني»، و«حزب العمال الاشتراكي»، و«الجمعية الاشتراكية في ويلس الجنوبية». و«اتحاد العمال الاشتراكي»، ترغب في إنشاء حزب شيوعي، وها هي تقوم فيما بينها بمفاوضات في هذا الصدد.

ولكن ما يظهره أن إحدى العقبات الرئيسية في سبيل المبادرة في الحال إلى إنشاء حزب شيوعي موحد هي الاختلاف حول مسألة الاشتراك في البرلمان، وحول انضمام الحزب الشيوعي الجديد إلى «حزب العمال» القديم القائم على المبدأ المهني، الانتهازي والاشتراكي-الشوفيني الذي يتألف بمعظمه من التريديونيونات. إن «اتحاد العمال الاشتراكي» و«حزب العمال الاشتراكي» سواء بسواء يعارضان الاشتراك في الانتخابات البرلمانية وفي البرلمان، ويعارضان الانضمام إلى «حزب العمال»، وهما في هذا الصدد يختلفان مع جميع أو أغلبية أعضاء الحزب الاشتراكي البريطاني الذي يعتبرانه «الجناح اليميني للأحزاب الشيوعية» في إنجلترا.

تستشهد الرفيقة سيلفيا بانكهورست في مسألة الاشتراك في البرلمان بمقالة نشرت في العدد نفسه للرفيق وليم غالآخر الذي يكتب باسم «مجلس العمال الأسكوتلندي» في غلاسغو:

"إن جمهور أعضاء حزب العمال المستقل في سكوتلنده يزدادون اشمئزاً من فكرة البرلمان يوما عن يوم، وأما السوفييتات (وقد كتبت هذه الكلمة الروسية بالأحرف الإنجليزية) أو مجالس العمال فتجد التأييد تقريبا من جميع الفروع المحلية. وبديهي أن يكون لهذا الأمر أهمية خطيرة للغاية عند أولئك السادة الذين يعتبرون السياسة وسيلة للتكسب (كحرفة)، ولذا يلجؤون إلى مختلف الوسائل لإقناع أعضاء منظماتهم بأن يعودوا القهقري إلى أحضان البرلمانية. يجب على الرفاق الثوريين ألا يقدموا أية مساعدة إلى هذه العصابة. إن نضالنا هذا سيكون نضالاً عسيراً. وأن من أسوأ ما يتصف به هو خيانة أولئك الذين تكون مطامعهم الخاصة دافعاً عندهم أقوى من اهتمامهم بالثورة. إن أي تأييد للبرلمانية ليس إلا مجرد مساعدة لوضع السلطة في أيدي أمثال شيدمان ونوسكيه البريطانيين. وأن هنديرسون وكلاينس (Clynes) وشركاهم هم رجعيون لا أمل فيهم. أما حزب العمال المستقل الرسمي، فهو صائر أكثر فأكثر تحت نفوذ الليبراليين البرجوازيين، الذين وجدوا مأواهم الروحي في معسكر السادة ماكدونالد وسنودن وشركاهما. إن حزب العمال المستقل الرسمي عدو لدود للأمية الثالثة، أما القاعدة فتؤيدها. إن أي تأييد للانتهازيين البرلمانيين ليس إلا مجرد تصرف لمصلحة السادة المذكورين أعلاه... إن كل ما يراد هنا هو منظمة ثورية إنتاجية (صناعية) سليمة، وحزب شيوعي يعمل وفق أسس عملية محددة واضحة. فإذا كان باستطاعة رفاقنا أن يساعدونا في إنشاء تلك المنظمة وهذا الحزب، فإننا سنتقبل مساعدتهم بسرور، وإذا لم يكن باستطاعتهم ذلك فليبتعدوا كلياً، إكراماً لوجه الله، ولا يتدخلوا، إذا كانوا لا يريدون خيانة الثورة بتأييدهم للرجعيين، هؤلاء الذين يحرصون كل هذا الحرص على نيل اللقب البرلماني «السامي» (؟)، الاستفهام لكاتب المقال)، ويتحمسون كل هذا التحمس ليثبتوا أنهم يستطيعون إدارة الحكم بمثل التوفيق الذي يدير به «السادة» أنفسهم، أي الساسة الطبقيون».

بالنسبة ل لينين، فهذه الرسالة المرسلة إلى هيئة التحرير تعبر تعبيراً رائعاً عن نزوع ووجهة نظر الشيوعيين الشبان أو النشطاء العمال الذين شرعوا يقتربون من الشيوعية للتو. وهذا النزوع مدعاة لأعظم السرور وله قيمة كبيرة، وينبغي أن يقدر

ويسند، إذ بدونه لا يرجى أمل في انتصار ثورة بروليتارية في إنجلترا، أو في أي بلد آخر أياً كان. إن الأشخاص الذين يستطيعون أن يعربوا عن نزوع الجماهير هذا، ويستطيعون أن يثيروا عند الجماهير مثل هذا النزوع، ينبغي أن يقدرُوا وأن تبذل لهم كل مساعدة. ولكن يجب في الوقت نفسه أن نقول لهم بصراحة، وعلى المكشوف، أن النزوع وحده لا يكفي من أجل قيادة الجماهير في نضال ثوري عظيم، وأن هذا الخطأ أو ذاك الذي يوشك أن يرتكبه أكثر الناس وفاء لقضية الثورة، أو أنهم يرتكبونه فعلاً (غالبا ما يكون خامداً وغير مدرك وغير متيقظ)، إن رسالة الرفيق غالاخر إلى هيئة التحرير تدل دون شك على بذور جميع تلك الأخطاء التي يرتكبها الشيوعيون «اليساريون» الروس في سنة 1908 وسنة 1918.

لقد أدرك كاتب الرسالة إدراكاً تاماً أن سوفيات العمال وحدها بإمكانها أن تكون الوسيلة للتوصل إلى أهداف البروليتاريا، لا البرلمان. وبالطبع، إن من لا يفهم حتى الآن هذا الأمر، هو رجعي عريق، حتى ولو كان أعلم العلماء، وأحنك الساسة، وأخلص الاشتراكيين، وأكثر الماركسيين اطلاعاً، وأشرف المواطنين وأرباب العائلات. غير أن كاتب الرسالة، كما يبدو، لا يأخذ بالحسبان واقع أن السياسة علم وفن لا يهبطان من السماء، ولا يحصلان دون جهد، وإن البروليتاريا، إذا أرادت أن تنتصر على البرجوازية، يجب عليها أن تنشئ لنفسها ومن عندها «ساسة طبقيين» بروليتاريين، ساسة لا يقلون شأنًا عن الساسة البرجوازيين، كما أن كاتب الرسالة أيضاً لم يقدّر حتى بطرح السؤال التالي ولم تخامر فكره ضرورة طرح هذا السؤال، هو: هل يمكن السير بالسوفيات إلى الانتصار على البرلمان دون أن ينفذ الساسة «السوفياتيون» إلى داخل البرلمان؟ ودون أن يُعمل على نفس البرلمان من الداخل؟ ودون أن يجري الاستعداد في داخل البرلمان، من أجل نجاح السوفيات في القيام بالمهمة المطروحة أمامها، مهمة حل البرلمان؟

في حين يبدى كاتب الرسالة فكرة صحيحة جداً، وهي أن الحزب الشيوعي في بريطانيا يجب أن يعمل بموجب الأسس العلمية. فالعلم يتطلب أولاً أن تؤخذ تجربة البلدان الأخرى بالحسبان، تجتاز تجربة مماثلة جداً، أو أنها قد اجتازتها من

عهد قريب. ثانياً، أن تؤخذ بالحسبان جميع القوى والجماعات والأحزاب والطبقات والجماهير، العاملة في بلد بعينه، وليس تعيين السياسة فقط على أساس الرغبات والآراء، ودرجة الوعي والاستعداد للنضال عند جماعة واحدة أو حزب واحد فقط.

أمّا أن هندرسون وكلاينس وماكدونالد وسنودن ومن لف لفهم رجعيون لا يرجى شفاؤهم، فهو أمر صحيح، وصحيح كذلك أنهم يريدون الاستيلاء على السلطة (مفضلين أثناء ذلك الائتلاف مع البرجوازية)، وأنهم يريدون «إدارة الحكم» وفق الأنظمة البرجوازية القديمة ذاتها، وأنهم حالما يصلون إلى الحكم لا بد لهم من أن يسيروا سيرة شيدمان ونوسكيه وأمثالهما. كل ذلك صحيح. غير أنه لا يستنتج منه أبداً أن دعمهم يعني خيانة الثورة، بل أن ما يستنتج من ذلك هو أن على ثوريي الطبقة العاملة أن يؤيدوا، لصالح الثورة، هؤلاء السادة، بعض التأييد البرلماني. لأن هؤلاء السادة البورجوازيين ليسوا أشخاصاً ذكيين جداً فحسب، بل إنهم تعلموا كذلك من الماركسيين أشياء كثيرة. فلا عيب في أن نتعلم نحن كذلك شيئاً من لويد جورج، ومنه يجب على الشيوعيين الانجليز أن يساهموا في البرلمانية، ويجب عليهم أن يساعدوا، من داخل البرلمان، جماهير العمال على أن ترى ثمار حكومة هندرسون وسنودن، كما يجب عليهم أن يساعدوا هندرسون وسنودن ومن لف لفهم ليقهروا اتحاد لويد جورج وتشرشل. وأي تصرف آخر يعني تعسير قضية الثورة، إذ ما لم تتغير آراء أكثرية الطبقة العاملة لا يمكن أن تقوم الثورة، وهذا التغيير توجده التجربة السياسية عند الجماهير، ولا توجده الدعاية وحدها بحال من الأحوال.

ويقول لينين:

"إن قانون الثورة الأساسي الذي اثبتته جميع الثورات، وخاصة جميع الثورات الروسية الثلاث في القرن العشرين، يتلخص فيما يلي: لا يكفي من أجل الثورة أن تدرك الجماهير المستغلة والمظلومة عدم إمكانية العيش على الطريقة



القديمة وأن تطالب بتغييرها. إن من الضروري أيضاً لأجل الثورة أن يغدو المستغلون (بكسر الغين) غير قادرين على العيش والحكم بالطريقة القديمة. إن الثورة لا يمكن أن تنتصر إلا عندما تعزف «الطبقات الدنيا» عن القديم، وعندما تعجز «الطبقات العليا» عن السير وفق الطريقة القديمة".

وسأقول (لينين) بمزيد من الدقة: " يجب على الشيوعيين الإنجليز، حسب رأيي، أن يوحدوا جميع أحزابهم وفرقهم الأربعة (وكلها ضعيفة جداً وبعضها في غاية الضعف) في حزب شيوعي واحد، على أساس مبادئ الأومية الثالثة، والاشتراك الإلزامي في البرلمان. وليعرض الحزب الشيوعي على هندرسون وسنودن ومن لف لفهما «مساومة»، اتفاقية انتخابية بالشكل التالي: دعنا نكافح سوية حلف لويد جورج والمحافظين، ولنقتسم المقاعد البرلمانية بنسبة عدد الأصوات الانتخابية بل بالتصويت الخاص، ثم لنحتفظ بكامل الحرية في التحريض والدعاية والنشاط السياسي. فبدون هذا الشرط الأخير، لا يجوز، بالطبع، الدخول في كتلة، لأن ذلك سيكون خيانة. يجب على الشيوعيين الإنجليز إطلاقاً أن يزودوا ويدافعوا عن الحرية التامة في أمر فضح هندرسون وسنودن ومن لف لفهم، كما كان يزود عنها البلاشفة الروس (طوال خمسة عشر عاماً، من سنة 1903 إلى 1917) ونجحوا في الذود عنها حيال نظائر هندرسون وسنودن ومن لف لفهما في روسيا، أي المناشفة.

"لأن مثل هذه المبادئ ليست إلا تكراراً لخطأ البلانكيين الكومونيين الفرنسيين، الذين أعلنوا في سنة 1874 «الرفض» لكل مساومة ولكل محطة انتقالية. ولا ريب، ثانياً، أن المهمة هنا أيضاً، كما هي على الدوام، تتلخص في معرفة تطبيق المبادئ العامة والأساسية للشيوعية، على ذلك التفرد في العلاقات الخاصة بين الطبقات والأحزاب، وعلى خصائص التطور الموضوعي نحو الشيوعية بدراسته واكتشافه واستشفافه.

ولكن هذا لا يرتبط بالشيوعية الانجليزية وحدها، وإنما يرتبط بالاستنتاجات العامة المتعلقة بتطور الشيوعية في جميع البلدان الرأسمالية. ولننتقل الآن إلى هذا الموضوع".

### (10) بعض الاستنتاجات

كشفت ثورة سنة 1905 البرجوازية في روسيا عن انعطاف هائل للغاية في التاريخ العالمي، فكانت روسيا المتأخرة أول بلد كشف للعالم تصاعد مبادرات الجماهير المظلومة، تصاعد يجري في زمن الثورة بشكل قفزات (وقد حدث هذا في جميع الثورات الكبرى)، وليس ذلك وحسب، بل وكشفت ما للبروليتاريا من أهمية تزيد زيادة غير محدودة عن نسبتها العددية من السكان، والجمع بين الاضرابات الاقتصادية والسياسية، مع تحويل الأخيرة إلى انتفاضة مسلحة، ونشوء شكل جديد للنضال الجماهيري والتنظيم الجماهيري للطبقات المضطهدة من قبل الرأسمالية، ونعني السوفييتات.

"إن ثورتي فبراير وأكتوبر لسنة 1917 قد أدتا إلى تطور السوفييتات تطوراً شاملاً على النطاق الوطني، ثم ان انتصارها في الانقلاب البروليتاري الاشتراكي. ثم بعد أقل من سنتين ظهر الطابع الأممي للسوفييتات، وانتشر هذا الشكل من النضال والتنظيم في الحركة العمالية العالمية، وبانت رسالة السوفييتات التاريخية كحفار قبر للبرلمانية البرجوازية ووارث وخلف لها وللديموقراطية البرجوازية بوجه عام.

وفضلا عن ذلك، يظهر تاريخ حركة العمال اليوم، ان أمام هذه الحركة في جميع البلدان نضالاً (وقد بدأ فعلاً) بالدرجة الأولى بين الشيوعية المترعرة والآخذة في القوة والسائرة نحو النصر، وبين «منشفيتها» الخاصة (في كل بلد بمفردها)، أي الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية، ذلك أولاً، وثانياً، ولنقل كأمر إضافي -بينها وبين الشيوعية «اليسارية». فالنضال الأول قد نشب في جميع البلدان دون استثناء، كما يظهر، كنضال بين الأممية الثانية (التي قد قتلت اليوم في الواقع) وبين

الأممية الثالثة. والنضال الآخر يمكن ملاحظته سواء في ألمانيا أو بريطانيا أو إيطاليا وفي فرنسا، ويعني ذلك، دون شك، أن هذا النضال لا يجري في النطاق الأممي وحسب، بل وفي النطاق العالمي كله.

وتتلخص القضية الآن في أن على الشيوعيين في كل بلاد أن يأخذوا بالحسبان، بمنتهى الوعي، المهام المبدئية الأساسية للنضال ضد الانتهازية العقائدية «اليسارية» وكذلك الخصائص الملموسة التي يتخذها هذا النضال والتي يجب أن يتخذها في كل بلاد على حدة، تبعا للخصائص المميزة التي تميز اقتصادها وسياستها وثقافتها وتركيبها القومي (ارلنده، وغيرها) ومستعمراتها وتقسيماتها الدينية، وهلم جرا الخ. في كل مكان يبرز عدم الرضا في الأممية الثانية ويتسع وينمو، وذلك سواء بسبب انتهازيتها أو بسبب أنها ليست لديها القدرة أو القابلية لإيجاد مركز مكثف حقاً، وقيادي حقاً، وكفاء لتوجيه تكتيك البروليتاريا الثورية العالمي في نضالها من أجل جمهورية سوفيتية عالمية.

إن من الضروري أن ندرك بجلاء أن مثل هذا المركز القيادي لا يمكن بأية حال أن نوجده على أساس قولبة القواعد التكتيكية للنضال وتسويتها وتوحيدها بصورة جامدة. فما دامت الفوارق من حيث القوميات والدول موجودة بين الشعوب والبلدان، وهذه الفوارق ستبقى زمنا طويلا وطويلا جدا، حتى بعد تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا في النطاق العالمي، فإن وحدة التكتيك العالمي للحركة العمالية الشيوعية في جميع البلدان لا تتطلب إزالة التنوع، ولا استئصال الفوارق القومية (الأمر الذي ليس في اللحظة الراهنة إلا أضغاث أحلام)، بل تتطلب تطبيق المبدئين الأساسيين للشيوعية (السلطة السوفيتية وديكتاتورية البروليتاريا) بشكل يعدل بصورة صحيحة هذين المبدئين، في الجزئيات ويجعلهما يتلائمان وينسجمان بصورة صحيحة مع الفوارق القومية والفوارق بين الدول. إن الواجب الرئيسي في اللحظة التاريخية التي تجتازها جميع البلدان المتقدمة (وليس المتقدمة وحدها) هو استقصاء ودراسة وتمحيص

واستقراء واستيعاب المميزات القومية والخصائص القومية في الأساليب الملموسة التي يتخذها كل بلد لحل المهمة الأمامية الواحدة، وللانتصار على الانتهازية والعقائدية اليسارية في داخل الحركة العمالية، ولإسقاط البرجوازية، وتأسيس الجمهورية السوفيتية وديكتاتورية البروليتاريا. والأمر الرئيسي - وطبعاً لا نقصد جميع الأمور، كلا وأبداً- قد سبق أن تحقق باجتذاب طليعة الطبقة العاملة، واستمالتها إلى جانب السلطة السوفيتية ضد البرلمانية، وإلى جانب ديكتاتورية البروليتاريا ضد الديموقراطية البرجوازية. والآن ينبغي تركيز جميع القوى وكل الانتباه على الخطوة التالية، التي تبدو أقل أهمية - من بعض وجهات النظر- ولكنها بدل ذلك، أقرب، من الناحية العملية، إلى حل المهمة حلاً عملياً، ونعني إيجاد أشكال الانتقال إلى الثورة البروليتارية أو الاقتراب منها.

لقد تم كسب الطليعة البروليتاريا فكرياً. وهذا أمر رئيسي، بدونهُ تستحيل حتى الخطوة الأولى نحو الانتصار. لكن الشقة بين هذا الأمر وبين الانتصار لا تزال بعيدة جداً. إذ لا يمكن الانتصار بقوى الطليعية وحدها. والزج بالطليعة وحدها في معركة حاسمة، قبل أن تكون الطبقة كلها والجماهير الواسعة قد اتخذت أمّا موقف التأييد المباشر للطليعة وأمّا، على أقل تقدير، موقف حياد يتسم بالنية الطيبة تجاهها، بحيث تكون غير قادرة أبداً على تأييد عدو الطليعة، لا يكون حماقة وحسب، بل جريمة أيضاً. ولكي ما تتخذ الطبقة كلها فعلاً، وجماهير الكادحين الواسعة فعلاً، ويتخذ المضطهدون من قبل الرأسمالية، مثل هذا الموقف، لا تكفي الدعاية وحدها، ولا التحريض وحده. ينبغي لذلك أيضاً أن يكون لهذه الجماهير تجربتها السياسية الخاصة. هذا هو القانون الأساسي لجميع الثورات الكبرى، وقد أثبتته الآن روسيا وفضلاً عنها ألمانيا بقوة وجلاء مدهشين. لم يكن الأمر ليتطلب من الجماهير الروسية غير المثقفة والأمية في الأغلب وحدها، بل كان الأمر يتطلب من الجماهير المثقفة ثقيفاً عالياً والمتعلمة كلها في ألمانيا أيضاً، أن تلمس بتجاربها المرة كل عجز حكومة فرسان الأممية الثانية وكل ميوعتها، وكل وهنها وكل خنوعها أمام البرجوازية، وكل دناءتها، وكل حتمية ديكتاتورية الرجعيين المتطرفين (كورنيلوف

في روسيا وكاب وشركاه في ألمانيا) باعتبارها البديل الوحيد عن ديكتاتورية البروليتاريا، لكي ما تتجه تلك الجماهير بصورة قاطعة نحو الشيوعية.

"إن المهمة المباشرة التي تواجهها الطليعة الواعية من الحركة العمالية العالمية، أي الأحزاب والفرق والتيارات الشيوعية، هي أن تكون قادرة على سوق الجماهير الواسعة (التي لا تزال في معظم الحالات هاجعة، بليدة الحس، مقيدة بالروتين، هامة، جامدة) نحو هذا الوضع الجديد، أو على الأصح، ان تكون قادرة على قيادة حزبها، وليس حزبها فقط، بل هذه الجماهير أيضا، خلال اقترابها من هذا الوضع الجديد، وانتقالها إليه. فإذا كان إنجاز المهمة التاريخية الأولى (أي جذب الطليعة الواعية من البروليتاريا إلى جانب السلطة السوفيتية وديكتاتورية الطبقة العاملة) غير ممكن بدون الانتصار الناجز على الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية انتصارا فكريا وسياسيا، فإن المهمة الثانية، التي تغدو الآن مهمة مباشرة، والتي هي عبارة عن القدرة على قيادة الجماهير نحو الموقع الجديد الذي يضمن انتصار الطليعة في الثورة، لا يمكن إنجازها بدون استئصال العقائدية اليسارية، وبدون التغلب على أخطائها بصورة تامة وتجنب هذه الأخطاء.

إن التاريخ بوجه عام، وتاريخ الثورات بوجه خاص، لهو على الدوام أغنى بالمضامين وأكثر تنوعا وشمولا وأنبض بالحياة و«أكثر روعانا» مما تتصوره أحسن الأحزاب وأكثر الطلائع وعيا من أكثر الطبقات تقدما. وذلك أمر مفهوم، لأن أفضل الطلائع إنما تعرب عن وعي وإرادة عشرات الألوف وعن عواطفهم وتخيلاتهم، بينما تتحقق الثورات في لحظات تفجر جميع الطاقات البشرية وتوترها لدرجة كبيرة، وهي تتحقق بوعي وإرادة وعواطف وتخيلات الملايين المدفوعة بأحد صراع بين الطبقات. وهنا ينبثق استنتاجان عمليان على غاية من الأهمية: الأول، انه يجب على الطبقة الثورية، من أجل تحقيق مهمتها أن تتضلع بجميع أشكال النشاط الاجتماعي ونواحيه دون استثناء (وبعد الاستيلاء على السلطة السياسية، أن تنجز،

أحياناً، بمجازفات كبيرة وأخطار جسيمة، ما لم تنجزه قبل الاستيلاء عليها) والثاني، أنه يجب على الطبقة الثورية أن تكون على استعداد لتنتقل، بأتم السرعة والمفاجأة، من شكل إلى شكل آخر.

حمو خالد

2019 - 7 - 27